أ وأنت عبدالله ؟!

أحمد عز الدين

اقتربنا منه ،
لامسناه ،
حين تفجرت فينا الينابيع الخفية ،
لم نقل شيئا ،
ولكنا نزلنا الشارع المرصوف بالخوذات والعربات ،
نبحث عن بقايا منه ،
في صهد الحرائق ،
والدم المنساب فوق حصى الطريق ،
وتحت أحذية الجنود .

نعد أيدينا ،
نفتش في أصابعنا عن العلم الذي تتفتت الالوان فيه،
وتستحيل خيوطه ،
بقعا ممزقة ،
على ساحات مصر .

نعد أيدينا ،
وهم بين القنابل .
يحصدون القمح تحت جلودنا
ويطاردون أريجه ،
ببنادق الصيد العتيقة في مياه النيل .
والساحات يخرج من حناجرها الهتاف .
يصير فوق رؤوسنا .
سقفا .
من السحب الثقيلة والدخان .

أوانت عبدالله ؟!
نقتسم الرغيف الاسمر المثقوب بالرشاش ،
ثم نلم لحما دافئا .
فوق الرصيف .
مشت عليه حوافر الخيل الثقيلة
منذ أعوام .
ونسلم نفسنا لشقوق مصر .

أوانت عبد الله ؟!
منذ متى تركتك واقفا بملابس الميدان .
فوق رمال سيناء البعيدة ،
والطيور تعض في دمك الذي غطى العلم .
الان تقتسم الحواري جوعها ودموعها ،
ويعود طير أحمر المنقار من سيناء ،
يحمل اخر الشهداء ،
ملفوفا بطلقته الاخيرة ،
والجنود يعاودن الحفر ،
في جسد الجبل .

أوانت عبد الله ؟!
لا سيناء اعطتني مفاتيح الدخول الى براريها الرحيبة،
بعدما اعطيت من دمي الثمن ،
ولا الذين استعمروا قلبي ،
وداسوا فيه ورد الحلم ،
ردوني الى أهلي . قتيلا أو بطل !

* * *

الان نقتسم الرغيف الاسمر المثقوب بالرشاش ،
ندخل في حواري مصر ،
أطفالا حفاة ،
يقذفون عساكر السلطان بالاحجار ،
يقتربون من ابائهم في الحلم ،
يحتطبون في الشجر البعيد ،
ويوقدون النار ،
في طرقات مصر ..